(٢٩٢)

عُثْمَان بن مُحمَّد بن عَبْدالعزيز بن أحمد بن أبي بَكْر بن يَحْيَى بن إبراهيم بن يَحْيَى بن عَبْدالوَاحِد بن أبي حَفْص عُمَر الملقب المُتوكِّل على اللَّه الهَنْتَاتي)[١]

بفتح الهاء ثم نون بعدها مثناة ثم مثلها بعد ألف، قبيلة من البربر، وجدُّه أبو حَفْص عُمَر هو أحد العشرة من أصحاب مُحمَّد بن تُومَرْت المعروف بالمهدي. ولد تقريباً بعد العشرين وثمانمائة بتونس وبها نشأ في كنف أبيه وجدّه، وقرأ القرآن وشيئاً من العلم، وصار إليه الملك وهو ابن ثماني عشرة سنة فخالف عليه عمُّه أبو الحسن فظفر به، وتمهدت له الأمور وطالت أيامه، فإنه ولي ملك تونس وهو في تلك السنّ في سنة (٨٣٩) ودام في الملك أربعاً وخمسين سنة ونصف سنة، ودانت له البلاد والرعية، واجتمع له من الأموال وغيرها ما يفوق الوصف، وأنشأ الأبنية الهائلة والخزانة الشرقية بجامع الزيتون، وجعل بها كتباً نفيسة للطلبة. وبعد صيته وطارت شهرته، وهادن ملوك تلك الأقطار، وكذا ملوك الإفرنج، وخُطِبَ له بالجزائر وتلمسان، وجاءته بيعة صاحب فاس. وأثنى عليه غير واحد ممن لقيه. ولم يزل بحالته حتى (مات) في صبيحة يوم السبت تاسع وعشرين شهر رمضان سنة ٨٩٣ ثلاثٍ وتسعين وثمانمائة.

(٢٩٣)

(الإمام الهادي عِزّ الدين بن الحَسَن بن المُؤيَّد)[٢]

ولد بأَعلى فَلَله بفتح الفاء واللامين بعدها، بعشرٍ بقين من شوَّال سنة ٨٤٥ خمسٍ وأربعين وثمانمائة، وقرأ في وطنه، ثم رحل إلى صعدة، فقرأ على عليّ بن مُوسَى الدواري فنوناً من العلم، وقرأ أيضاً على غيره. ثم رحل إلى تهامة، فسمع الحديث على شيخه يَحْيَى بن أبي بَكْر العَامريّ المشهور مؤلف البهجة وغيرها، سمع منه سنن أبي دَاود، وأجازه في سائر كتب الحديث، وبرع في جميع العلوم، وصنَّف وهو دون العشرين، فمن مصنفاته: شرح منهاج القرش، في مجلدين ضخمين، وشرح البحر للإمام المهدي، بلغ فيه إلى كتاب الحجّ، وهو شرح مفيد سلك فيه طريقة الإنصاف، وهو يدلّ على تبحره في عدة علوم. وله فتاوى مجموعة في مجلّد

(١) ترجمته في: الأعلام: ٤/ ٢١٣.
(٢) ترجمته في: الأعلام: ٤/ ٢٢٩.

ضخم مفيدة. ومن جملة شيوخه الإمام مُحمَّد بن عليّ الوشلي، فإنه لازمه في الحضر والسفر، ثم لما كمل في جميع العلوم دعا الناس إلى مبايعته فبايعوه في تاسع شوّال سنة ٨٧٩ تسعٍ وسبعين وثمانمائة، وكانت الدعوة بوطنه هجرة فَلَلَه، ودخل تحت طاعته بلاد السودة وكحلان والشرفين والبلاد الشامية، وعلماء سائر محلات الزيدية قد بايعوه وإن لم يجبه جميع أهلها. وهو من أكابر أئمة الآل في العلم والعمل والكرم وسائر الخصال الشريفة، وله شغف بالعلم عظيم، ولديه من التسليم للحق واتباع الدليل ما لم يكن لغيره، حتى رأيته قد حرّر بحثاً في مسألة انحصار الإمامة في بعض بطون قريش، وتكلم بالصواب مع كونه إذ ذاك إماماً. واستمرت إمامته إلى أن (مات) في شهر رجب سنة ٩٠٠ تسعمائة، ومدة خلافته إحدى وعشرون سنة.

(٢٩٤)

(السيد عليّ بن إبراهيم بن عليّ ابن إبراهيم بن أحمد بن عَامِر الشهيد)

المتقدم ذكره. ولد بشهارة سنة ١١٤٣ ثلاثٍ وأربعين ومائة وألف، وقيل سنة (١١٣٩) وقرأ بها على أهل العلم هنالك. ثم ارتحل إلى كوكبان، وقرأ على من بهِ من العلماء كالسيد عِيسَى بن مُحمَّد بن الحُسَيْن، ثم ارتحل إلى صنعاء، وقرأ على السيد العلَّامة أحمد بن مُحمَّد بن إسْحَاق وغيره، كالقاضي أحمد بن صَالح بن أبي الرِّجال، واستقر بها وتزوَّج، وكان إماماً في جميع العلوم، مُحقِّقاً لكل فنٍّ، ذا سكينة ووقار قلَّ أن يوجد له نظيرٌ في ذلك، كان إذا اجتمع بأهل العلم وجرت المباحثة في فنٍّ من فنون العلم لا يتكلم قطُّ بل ينظر إليهم ساكتاً، فيرجعون إليه بعد ذلك فيتكلم بكلام يقبله الجميع، ويقنع به كل سامع، وكان هذا دأبه على مرور الأيام، لا يعتريه الطيش والخفة في شيء كائناً ما كان، ولا يوجد له عدوٌّ قطّ لحفظِ لسانه والتفاته إلى ما يعنيه وعدم اشتغاله بما لا يعنيه، مع كونه غير متعلق بالمناصب الدنيوية التي هي منشأ العداوة إما لحسدٍ أو لغيرةٍ، فلهذا كان الثناء عليه كلمة إجماع، والاعتراف بفضله ليس فيه نزاع. وكان يسلك هذا المسلك مع أهله وأولاده، فإنهم إذا وقع لهم السهو عن شيء مما يحتاج إليه من طعام أو شراب أو نحوهما لم يقع منه الطلب لذلك منهم فضلاً عن أن يتجرَّد عليهم ويلومهم. ولقد أخبرني أنه خرج يوماً مع جنازة وقت الغداء، وما رجع إلّا قبل الظهر فظن أهله أنه قد تغدى، لأنه كان كثير الضيافات عند معارفه، فوصل إلى مكانه واستمر جالساً إلى وقت العشاء لم يطلب منهم شيئاً، ومثل هذا عجيب. وأخبرني أنه دخل ليلةً منزله ووقف في المكان الذي يأوي إليه، ولم يشعر أهله بذلك فبقي إلى مقدار نصف الليل في ظلمة بلا مصباح ولا قهوة ولا غير